قال لهم مسها بشر بن الحارث بيده فما نفست عليها حتى اخذتها بالدراهم فقالوا
له وما يكون بشر هذا فقال لهم هو عبد اطاع الله تعالى فاكرمه فرجع بعضهم الى
بعض وقالوا اذا كان صاحب الطاعة تنتهي به الكرامة عند الله الى مثل هذا فى
الدنيا فكيف فى الاخرة فتابوا بجمعهم وتركوا ما كانوا عليه من اللهو والباطل التفتن
الحكاية بمعناها ومثل ذلك كثير وقوعه لاهل الفضله والاعراض مع اهل التقوى
والاقبال منهما عظيم هم واحبوهم واما اهل الاخرة والاقبال على الله تعالى فمنهما
احبوا اهل الدنيا من الغافلين والمخلطين ومالوا اليهم واستحسنوا احوالهم و
غبطوهم على ما هم فيه وعليه من التمتع بشهوات الدنيا والتقلب فى لذاتها دل ذلك
منهم على ضعف البصائر وسقوط الهمة وقلة الصدق وعدمه فى الاقبال على الله
تعالى وعلى الدار الاخرة وذلك لان الدنيا حقيرة حقير ما فيها حقير من يرغب فيها
ويحرص عليها ويتعلق قلبه بشهواتها ولذاتها ويكثر همه بجمعها وتمتيعها فاذا صار
اهل الاخرة بحيث يغبطون ويعظمون من تكون هذه حالته وهذا وصفه فربما صاروا
انزل منهم مرتبة واقل منهم خيرية واخس منهم همة بل ينبغي لاهل الدين والاخرة
ان يزهدوا انفسهم ويبغضوها عن الركون الى الدنيا واهلها وان يستقبحوا
ويستقذروا جميع شهوات الدنيا ولذاتها الفانية فانها بالحقيقة اقذار وادناس
واوساخ وقد شبهتها بالجيفة المنتنة وبالمزبلة المستقذرة فى قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم واقوال السلف الصالح وفى الحديث الدنيا جيفة قذرة وشبهها
عليه الصلاة والسلام بما يخرج من بطن بن آدم من النتن فى حديث الضحاك وقال
الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى لو قيل لي خذ الدنيا حلالا من غير ان تحاسب
عليها لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثيابه وذكر
اليافعي رحمه الله تعالى فى بعض كتبه ان وزيرا من الوزراء خرج فى موكب له عظيم
فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذا يستعظمون ما هو فيه فقالت امراة
علي جنب الطريق الى كم تقولون من هذا من هذا هذا عبد سقط من عين الله
تعالى فابتلاه بما ترون فسمع الوزير مقالتها فرجع الى ملكه واستعفا من الوزارة
وخرج تائبا الى مكة المشرفة فلم يزل كذلك الى ان مات فليس ينبغي لاهل الدين والاخرة
اذا رؤا اهل الدنيا المشغوفين بجمعها بشهواتها الا ان يرحموهم ويدعوا لهم بالخلاص
والسلامة مما وقعوا فيه من الاعراض عن الله تعالى والاشتغال عن اخرتهم التي هي

مصيرهم

المشغوفين ص

الدنياصح

مصيرهم ومعادهم واما ان اهل الاخرة يجبون ان يكونوا مثلهم او يغبطونهم على ما هم فيه
فمعاذ الله ان يصدر ذلك الا ممن لا بصيرة له ولا صدق مع الله تعالى ولا زهادة
فيها صحيحة ولا رغبة فى الدار الاخرة التي هي خير وابقى ومن فعل ذلك فهذا يستبدل
الذي هو ادنى بالذي هو خير وابقى ولم يعرف قدر نعمة الله عليه فيما اختاره له من
الاقبال عليه وعلى الدار الباقية وصرف عنه من بلية الاعراض والغفلة عنه عز وجل
ومن الاقبال على الدنيا الحقيرة الفانية التي لا قدر لها ولا قيمة وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء
والاخبار فى هذا المعنى كثيرة شهيرة والتوفيق بيد الله والامر كله لله ولا حول ولا
قوة الا بالله سبحانه وتعالى فصل اعلم ان الاقتصاد والاخذ بالوسط فى جميع
الامور هو المطلوب والذي ينبغي وقد ورد خير الامور اوساطها وورد ايضا
الاقتصاد والتؤدة والتسمت الحسن جزء من خمسة وعشرون جزءا من النبوة
وقال امير المؤمنين علي كرم الله وجهه عليكم بالنمط الاوسط فانه يرجع اليهم الغالي ويلحقهم
التالي اعني فالتقصير عن الوسط والاقتصاد عجز وتفريط ومجاوزته زيادة عليه
علو وافراط وكل ذلك مذموم ومستقبح عقلا وشرعا وعبادة وعادة وقد
اراد الله تبارك وتعالى الى الاقتصاد والتوسط فى الانفاق الذي هو من احسن
الافعال والاخلاق بقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
فتقعد ملوما محسورا وقوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان
بين ذلك قواما والحال المحمود على مثل ذلك فى الاخلاق المحمودة والافعال الصالحة
ثم ان ذكر ذلك على سبيل التفصيل يدعو الى الاكثار والتطويل فلنشر منه الى
شيء قليل ممن ذلك السخا والانفاق فقد سمعت ما قال الله فيه فالافراط منه
والغلو فيه تبذير واسراف والله لا يحب المسرفين والتقصير عنه والتفريط شح
وبخل والبخيل بعيد من الله ومن الناس ومن الاخلاق الحسنة والافعال
المشكورة الشجاعة والافراط فيها تهور والقاؤها بالنفس الى التهلكة والتقصير
عنها جبن وذل ومنها التواضع وهو محمود جدا والافراط فيه ضعة ومهانة
والتقصير عنه تكبر وعونه ومنها الحياء والافراط فيه انوثة وضعف والتقصير
عنه فضاضة وهتكة ومنها البشر والبشاشة والافراط فى ذلك سخف وخلاعة
والتقصير عنه جفاء ووحشة فقس على ما ذكرناه مالم نذكره مما فى معناه

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)